

اسم المقال: وصف المدينة المنورة في النصف الأول من القرن الثامن الهجري (14م) من خلال رحلة البلوي

اسم الكاتب: نواف عبدالعزيز الجحمة

رابط ثابت: <https://political-encyclopedia.org/library/8912>

تاريخ الاسترداد: 2026/06/07 12:15 +03

الموسوعة السياسية هي مبادرة أكاديمية غير هادفة للربح، تساعد الباحثين والطلاب على الوصول واستخدام وبناء مجموعات أوسع من المحتوى العلمي العربي في مجال علم السياسة واستخدامها في الأرشيف الرقمي الموثوق به لإغناء المحتوى العربي على الإنترنت. لمزيد من المعلومات حول الموسوعة السياسية - Encyclopedia Political، يرجى التواصل على [info@political-encyclopedia.org](mailto:info@political-encyclopedia.org)

استخدامكم لأرشيف مكتبة الموسوعة السياسية - Encyclopedia Political يعني موافقتك على شروط وأحكام الاستخدام المتاحة على الموقع <https://political-encyclopedia.org/terms-of-use>



جامعة الشارقة  
ملتقى الحضارات

# مجلة جامعة الشارقة

دورية علمية محكمة

للعلم  
الإنسانية  
والاجتماعية



المجلد 13 ، العدد 2

ربيع الأول 1437 هـ / ديسمبر 2016 م

الترقيم الدولي المعياري للدوريات 1996-2339





## وصف المدينة المنورة في النصف الأول من القرن الثامن الهجري (14م) من خلال رحلة البلوي

نواف عبد العزيز الجحمة

كلية التربية الأساسية - الهيئة العامة للتعليم التطبيقي والتدريب

الكويت - الكويت

تاريخ القبول 2016-04-26

تاريخ الاستلام 2015-12-27

### ملخص البحث:

كانت المدينة المنورة نقطة جذب لمخيلة الرحالين الأندلسيين والمغاربة، الذين مهما اختلف تصويرهم لها أو تنوع، فإنه يصب في بوتقة صورة تمثيلية طافحة بالمحبة والتقدير والإعجاب إلى حد المجاورة والتقدير. ولعل هذا ما يفسر القواسم المشتركة بين الرحالين الذين ارتحلوا إلى المدينة المنورة، إلى الحد الذي بدت فيه - مع مراعاة اختلاف التجربة الفردية - هذه النصوص وكأنها مروية بالسند أو الإسناد المتواتر، علما أن كل نص رحلي كان نسيجا وحده وجدانا ومعجما وسردا ووصفا.

ومن بين الرحلات المدونة عن رحلة حجية من الأندلس إلى بلاد الحجاز رحلة أبي البقاء البلوي التي قام بها في سنة (737هـ/1336م)، وهي مطبوعة في كتابين. وبحقيق وتعليق الأستاذ الحسن السائح عن مطبعة النشر المغربية بالمحمدية تحت إشراف اللجنة المشتركة لنشر التراث الإسلامي بين المملكة المغربية ودولة الإمارات العربية المتحدة.

- ماذا كتب البلوي في رحلته هذه بصورة مجمل؟
  - وما موقع المدينة المنورة من مجمل ما كتب، أو بالأحرى ما هي الصورة التي ترسمها هذه الرحلة للمدينة المنورة؟
- هذا ما سأحاول الإجابة عنه من خلال قراءة هذه الرحلة وتقديمها في هذا العرض الذي سيتطرق للعناصر الآتية:

1. تقديم الرحلة.

2. المدينة المنورة ضمن الرحلة.

3. استنتاجات وخلاصات.

الكلمات الدالة: رحلة أبي البقاء البلوي، المدينة المنورة.





وصف المدينة المنورة في النصف الأول من القرن الثامن الهجري (14م) من خلال رحلة البلوي (119-138)

## مقدمة:

كانت المدينة المنورة نقطة جذب لخيال الرحالين الأندلسيين والمغاربة، الذين مهما اختلف تصويرهم لها وتنوع، فإنه يصب في بوتقة صورة تمثيلية طافحة بالمحبة والتقدير والإعجاب إلى حد المجاورة والتقدیس. ولعل هذا ما يفسر القواسم المشتركة بين الرحالة الذين ارتحلوا على المدينة المنورة، إلى الحد الذي بدت فيه - مع مراعاة اختلاف التجربة الفردية - هذه النصوص وكأنها مروية بالسند أو الإسناد المتواتر، علماً أن كل نص رحلي كان نسيجاً وحده، ووجداناً ومعجماً وسرداً ووصفاً.

ومن بين الرحلات المدونة عن رحلة حجية من الأندلس إلى بلاد الحجاز رحلة أبي البقاء البلوي التي قام بها في سنة (737هـ/ 1336م)، وهي رحلة في نظري - جديرة بالدراسة، لما تضمنته من إفادات علمية، ومعلومات تاريخية مفيدة، ونصوص أدبية نادرة، ولتحقيق هذا الغرض صنفت عناصر هذا العرض في ثلاثة محاور رئيسية:

1. تقديم للرحلة.
2. المدينة المنورة ضمن الرحلة.
3. استنتاجات وخلاصات.

## 1- تقديم للرحلة:

### أ - صاحب الرحلة: (713 / 780هـ.) (1313 / 1387م.)

هو خالد بن عيسى بن أحمد بن إبراهيم بن أبي خالد البلوي من أهل قننورية من حصون وادي المنصورة ولقب بأبي البقاء (انظر البلوي د.ت: (1) 616 وابن القاضي 1971: (1) 262 والمقري 1968: (2) 532 وابن الخطيب 1969: (1) 500). تحدث ابن الخطيب (1969: (1) 340) عن البلوي في رحلته المسماة بخطر الطيف في رحلة الشتاء والصيف التي كتبها في محرم سنة 748هـ / 1347م. فقال عنه: «هذا الرجل من أهل الفضل والسذاجة كثير التواضع منحط في ذمة التخلق نابيه الهيئة، حسن الأخلاق جميل العشرة، محبب في الأدب». أما مكان مولده فهو قننورية، وقد رجح محقق رحلته أنه قد يكون 713هـ / 1313م، لأنه عندما رحل إلى المشرق سنة 736هـ كان شاباً في مقتبل العمر، وقد جاوز سن الطلب إلى سن الاتصال بالعلماء والرواية عنهم (البلوي د.ت: (1) 25). أما وفاته فمن المحقق أنه توفي قبل 780هـ؛ لأن ابن الخطيب ذكره في الريحانة التي ألفت سنة 780هـ وترحم عليه (الزركلي 1986: (1) 67).

وينتسب البلوي إلى أسرة علمية فنشأ في وسط علمي مع تربية صالحة فأخذ عن والده





نواف عبد العزيز الجحمة (119-138)

بقننورية ثم رحل إلى غرناطة ودرس بها وكان من أصدقائه بها الرحالة ابن الحاج النميري الذي أصبح من كتاب الدولة المرينية، ثم رحل إلى المغرب الأقصى حيث أخذ من علماء فاس العلم ومن عاد إلى قننورية، وبعدها رحل إلى المشرق للحج والاستزادة من العلم واستجازة للعلماء الكبار، وبعد عودته إلى الأندلس أصبح من رجال الفقه والأدب فولي القضاء بمدينة قننورية، ثم انتقل إلى القضاء ببرشانة التي أتم فيها كتابة الرحلة، كما أثقلته موهبته الأدبية ليكون كاتباً أيضاً، فاستكتبه السلطان أبو يحيى بن أبي زكرياء الحفصي بتونس سنة 740هـ، وفي عهده زخرت تونس بالكتاب الكبار كابن خلدون، والأبلي، كما احترف البلوي التعليم فكان مدرساً بالإسكندرية أثناء إقامته بمصر (البلوي دبت: (1) 26-27-43).

### ب - التعريف بالرحلة:

لم تكن رحلة البلوي إلى بلاد الحجاز هي الرحلة الفريدة، بل كانت هناك رحلات أخرى، وذلك لأن البلوي كان شغوفاً بالرحلة والأسفار، ففي الرحلة الأولى رحل إلى مدينة فاس للدراسة وتلقى العلم، وقد ذكر في فهرسته بعض تفاصيل عن هذه الرحلة، فهي لا تشمل على تراجم للعلماء الذين أخذ عنهم بفاس، وكانت الرحلة متداولة في عصر ابن القاضي الذي ذكر شيوخ البلوي بفاس (ابن القاضي رقم 1242: 517). أما الرحلة الثانية فكانت إلى بلاد المشرق والتي دونت في كتابه المعروف (تاج المفرق في تحلية علماء المشرق)، أما الرحلة الثالثة فكانت تنقلته في شرق الأندلس وفي غرناطة والمرية وغيرها من البلدان.

والرحلة الحجازية (تاج المفرق في تحلية علماء المشرق): هي رحلته التي قام بها من بلدة قننورية بقصد حج بيت الله الحرام وطلب العلم، وكانت بداية خروجه ضحى يوم السبت الثامن عشر لصف من عام 736هـ/1335م من بلدة قننورية، وعاد إليها يوم الاثنين عصاراً في بداية ذي الحجة 740هـ/1339م فمدة رحلته خمسة أعوام إلا شهرين وثمانية عشر يوماً، وفرغ من تأليف رحلته (تاج المفرق في تحلية علماء المشرق) في آخر يوم شهر ربيع الأول سنة 768هـ/1367 وفي بداية تقييده لها بين منهجه الذي اتبعه. إذ يقول: «هذا تقييد، أطلعته عون من الله وتأييد، قصدت به ضبط موارد الرحلة الحجازية، وذكر معاهد الرحلة المشرقية. وأملت مع ذلك بذكر بعض الشيوخ من العلماء والفضلاء الذي يطنون ذبول البلاغة، ويجرون فضول البراعة، ولهم كلام يتألق فيه شعاع الشرق، ويترقق عليه صفاء العقل، وألمعت بذكر نبذ من فوائدهم، واختيار طرف من أناشيدهم. ثم يقول: «دعوت الله أن ينفع به كل من يلتمس النفع في المطالعة أو الكتابة» (البلوي دبت: (1) 142-143).

وتعتبر رحلة البلوي ذات قيمة كبرى سواء من الوجهة التاريخية أو الأدبية أو الاجتماعية أو العلمية، فقد سجل مذكراته بدقة دون الاعتماد على الذاكرة، وقد أتم له الالتقاء بكبار





وصف المدينة المنورة في النصف الأول من القرن الثامن الهجري (14م) من خلال رحلة البلوي (119-138)

العلماء في أهم حواضر بلاد المشرق، فهو أول من حمل إلى الأندلس والمغرب ديوان ابن نباتة، ومجموعة أشعار شهاب الدين بن أبي التناء الحلبي، والعديد من الكتب. فضلاً عن هذا فقد اتصل البلوي بالأمرء والسلاطين الذين كان لهم دور في توحيد العالم الإسلامي ومواجهة الخطر الصليبي مثل الناصر محمد بن السلطان المنصور قلاوون الذي حكم الشام ومصر، فقد عرف في عهده الأمن والاستقرار والنبوغ العلمي (الحجبي 1984: 30-19)، وكذلك السلطان ابن الحجاج يوسف بن الوليد بن نصر الذي حكم الأندلس (ابن الخطيب 1974: 18(4) وابن بطوطة 1997: 221(4))، وقد شغل البلوي في عهده القضاء، وكذلك السلطان أبوبكر الحفصي حاكم تونس، وقد شغل فيها كاتباً في بلاطه، ويعتبر هذا العصر من ألمع العصور الإسلامية، شاهدت فيه الأندلس في عهد بني نصر آخر مجدها، وعرف المغرب في عهد بني مرين عهداً ثقافياً يانعة، كما عرفت القاهرة والشام في عهد الناصر محمد بن قلاوون أمناً وتقدماً علمياً وأدبياً (البلوي د.ت: 47(1)).

وقد أثرت هذه الرحلة الطويلة في سلوكه الشخصي فتشبهه بالمشاركة كما يذكر عنه ابن الخطيب (1969: 501(1)) في الإحاطة «شهرته النزعة الحجازية فليس من خشن الحجازية، وأرخى من البياض طيلساناً وتشبه بالمشاركة شكلاً ولساناً، وصبغ لحيته بالحناء والكتم ولاث عمامته واختتم»، والواقع أن البلوي كان شخصية محبوبه كما يظهر من خلال رحلته التي لا تظهر ميزة أسلوبه وإطلاعه الواسع بقدر ما تعبر عنه نبلة وجاذبيته على النفاذ إلى قلوب العلماء والأدباء حيث لا يكاد يمكث قليلاً في أية بلدة حتى يتعرف على رجالها في سهولة ويسر (البلوي د.ت: 44(1)).

هذا وقد أوضح محقق الرحلة أن البلوي كتب رحلته أولاً وتناقلها الناس عنه، ثم بدا له أن يكتبها مرة ثانية وعرضها على أصدقائه من العلماء فقرضوها، وهي التي احتفظ بها حفيده ونشرها من جديد تلافياً لكل الناس، وهذا هو سبب ما يظهر من عدم الاتفاق في النسخ التي وجدت (البلوي د.ت: 5446(1)). إن المصدر الحق لرحلة البلوي هي تجربته الشخصية ووقوفه بنفسه على المشاهد والآثار والاتصال بالعلماء مباشرة للرواية عنهم، والبلوي لا يعتمد في ذكره المدن التي زارها على وصف ما جاء في كتب الرحالة والمؤرخين الذين سبقوه وإنما يعتمد على مشاهدته بنفسه، وبذلك فإن قيمة الرحلة تبدو في طراوة كتابتها وحيوية كاتبها الذي لم ينقل في هذا الموضوع عن سبقه وإنما تحدث عن المشاهد الحية كما رآها.

### مسار الرحلة ومحطاتها الأساسية:

استغرقت رحلة البلوي في مجموعها أربعة أعوام وتسعة أشهر واثنى عشر يوماً - أي سبعة وخمسين شهراً (57)، واثنى عشر يوماً (12) موزعة كما يأتي:





نواف عبد العزيز الجحمة (119-138)

- رحلة الذهاب للوصول إلى مكة المكرمة: تبدأ الرحلة بمقدمة، وبعدها خروج البلوي من قننورية إلى المريية يوم الأحد جمادى الأولى سنة 735 هـ، فوصل هنيين وتلمسان والجزائر فبجاية فقسطنطينة فالعنا ب، فبونة ثم تونس التي غادرها في 17 ربيع الثاني سنة 737 هـ إلى قوسرة، مالطة، قبرص، الإسكندرية فالقاهرة التي دخلها في 13 رجب سنة 737 هـ في عهد الناصر محمد بن قلاوون - وقد خرج البلوي من القاهرة يوم الاثنين 28 رجب سنة 737 هـ إلى غزة فمدينة الخليل، فبيت المقدس، فالكرك، فنتبوك، فوادي القرى إلى (المدينة المنورة) ثم خرج البلوي من المدينة في 23 ذي القعدة إلى (ذي الحليفة) فوادي الصفراء فرا ب، فخليص، ثم مرّ إلى (مكة المكرمة) فدخلها في 5 ذي الحجة سنة 737 هـ (البلوي د.ت: (1)53).

- رحلة العودة مروراً بالقدس الشريف: قفل راجعاً إلى وادي العقيق فالمدينة المنورة في 23 ذي الحجة عام 737 هـ، فالينبوع، فعقبة إلبيه، فوصل إليها في 16 محرم 738 هـ، ثم واصل السير إلى القدس، فالرملة، وعسقلان، فمصر، ففوة، فالإسكندرية، فالغماري، ثم رجع إلى الإسكندرية وغادرها في أول شوال سنة 738 هـ، ماراً بطبرق وتونس سنة 740 هـ وباجة والعنا ب وقسطنطينة وبجاية، وجبل الزاب، والجزائر، وتلمسان، وهنيين، حيث ركب منها قرقورة إلى المريية ومنها إلى قننورية (البلوي د.ت: (1)53).

#### ملاحظات عامة:

- شغل في تونس وظيفة سلطانية سامية، حيث استكتبه أبو يحيى أبو بكر ابن زكرياء الحفصي.
- قاسى البلوى كثيراً من الشدائد والمحن، منها محتته عند عودته إلى المغرب بعد خروجه إلى الإسكندرية حيث تأمر عليه صاحب الركب، ففر تاركاً البلوي وأخاه في العراء فتكبدا شقاء مريراً وجوعاً مؤلماً حتى رجعا إلى الإسكندرية. ومنها محتته بعد خروجه من بجاية حيث اعترض قافلتهم عربان جبل الزاب فوقعت معركة انهزم فيها أعداؤهم وسلم الله تعالى أبا البقاء.
- إشارته إلى العلاقات الدبلوماسية الحسنة بين مصر والمغرب والأندلس في عهد الناصر محمد بن قلاوون، كما يظهر ذلك من رسالة أوردها المقرئ من إنشاء الكاتب ابن الخطيب موجهة من الغني بالله إلى الناصر محمد بن قلاوون (انظر البلوي د.ت: (1)54).
- ينتقد البلوي ديوان الجمرك السكندري لتفتيش الصادر والوارد وقد سبقه إلى ذلك من الرحالة ابن جبير (د.ت: 12-13) الذي رفع قصيدة في الموضوع إلى صلاح الدين الأيوبي، وانتقده كذلك أبو عبدالله محمد بن رشيد، والعبدي (1968: 85-86)، مما





وصف المدينة المنورة في النصف الأول من القرن الثامن الهجري (14م) من خلال رحلة البلوي (119-138) يدل على الجور الجبائي الذي كان يعانيه الحجاج المغاربة والأندلسيون على يد الجمركيين من القرن السادس إلى القرن الثامن الهجري (12-14م) (انظر الجحمة 2003: 47-68).

### أما عن مزايا الرحلة فيمكن حصرها فيما يأتي:

تعتبر رحلة البلوي رحلة أدبية لما في أسلوبها من نثر محكم وتعبير بليغ و عبارات منتقاة، وقد استوفى بها شروط الرحلات المغربية والأندلسية من الاهتمام بذكر القضايا الفكرية المثارة في وقته، والترجمة لأعلام العلماء الذين اتصل بهم، وأخذ عنهم، من الكتب العلمية والدواوين الشعرية الذائعة في عصره، فغدت رحلته نموذجاً يحتذى به في القرن الثامن الهجري/ 14م؛ لذلك فلا بدع أن نرى رحلة البلوي مصدراً مهماً عند علماء التراجم وكتاب الرحلات وأن نراهم يذكرونها وينقلون عنها في ثقة لمؤلفها.

ويمتاز البلوي بأمانة الرواية، فهو حريص على ذكر الرواة المشهورين بالصدق وبأمانتهم العلمية، لذلك يسلسل السند حتى يرجع به إلى الأصل، ويعتمد على فن الرواية في أخذه للحديث وأخذه لفن القراءات وروايته للشعر، ويذكر البلوي (د.ب: 103) أن سنده في الحديث قوي جداً، فهو يروي موطأ مالك برواية أبي عبدالله عبد السلام، وهي أصح الرواية ولا يوجد مثل سندها في المغرب كما ذكر في رحلته، وكما أن البلوي على درجة كبيرة برواية الشعر العربي وحفظه وبالأخص الشعر الأندلسي، وكتابه مليء بمحفوظاته في هذا الباب، وقد روى لنفسه كثيراً من القصائد والمقطوعات، فمنها ما ارتجله بالمدينة المنورة شوقاً وحنيناً لزيارة قبر الرسول صلى الله عليه وسلم (انظر البلوي د.ب: 1) (283-284).

هذا وقد اهتم أيضاً بالوصف الجغرافي للمدن والقرى التي مر عليها، وإن كان يؤخذ عليه ذكر عابر ينقصه الوصف الدقيق، فهو لا يهتم بالمشاهد المألوفة كجغرافي أو العوائد والارتسامات كحالة اجتماعي. كما أشار إلى الأحوال الأمنية والسياسية والاجتماعية بصورة مقتضبة، واعتنى بتسجيل النقوش التأسيسية التي شاهدها على الآثار المقدسة في الحرمين الشريفين مع وصفه لهما، وسجل أسماء المدارس بمكة المكرمة والمدينة المنورة والمكتبات الموجودة بهما. واهتم بذكر النواحي التاريخية القديمة عن المساجد والآثار المقدسة ووصف مكة المكرمة والمدينة المنورة وأسوارها وذكر أسماء أحياء مكة المكرمة وجبالها.

أما بعد عصر البلوي فقد ظلت هذه الرحلة حية تناقلتها الخرائن وتهافت عليها الوراقون، لذلك تعددت نسخها، وجودة خطها، وقلما خلت منها خزنة أديب من أدباء عصره، فقد ذكر أحمد بابا التمبكتي (1351: 99) إنه وقف عليها ووصفها إنها رحلة في سفر وفيها





نواف عبد العزيز الجحمة (119-138)

فوائد ونقل عنها عدة تراجم وذكر في آخر الكتاب أنه اعتمد عليها، وينقل علي بن محمد بن علي الجزولي التمجوررتي (ت 1003هـ) كثيراً من فصول رحلة البلوي في رحلته: «النفحة المسكية في السفارة التركية»، وفي ذلك تزكية لقيمة كتاب «رحلة البلوي» من الوجهة الأدبية (البلوي د.ت: (1) 24-110).

### ج - نقد الرحلة:

الجدير بالذكر أن البلوي قد نقل الكثير من الأخبار عن العماد الأصبهاني وصفوان (562هـ/589هـ)، فقد انتقده ابن الخطيب وعاب عليه سطوته من الرحالة والأدباء السابقين وأدرج ذلك في كتابه (البرق الشامي للعماد الأصبهاني) قال ابن الخطيب في الإحاطة (1969: (1) 500): «وقيد رحلته في سفر وصف فيه البلاد ومن لقيه بفصول جلب أكثرها من كلام العماد الأصبهاني وصفوان وغيرهما».

وقد أوضح المقري (986هـ/1041هـ) (1968: (2) 553) سبب تحامل ابن الخطيب على البلوي كونه منحرفاً عنه على حد قوله. والواقع أن ابن الخطيب كان قاسياً على البلوي في اتهامه بالسرقة الأدبية سواء من العماد الأصبهاني أو من صفوان. فالبلوي لم يكن سارقاً في نظر النقد، بل هو مقتبس بعض التعابير الوصفية والأدبية والأنماط التصويرية، وهذا الأمر لم يكن فريداً في عصر البلوي بل نجده يتكرر في مؤلفات المشرقيين وتأثرهم بالنثر والشعر الأندلسيين، إذ لهم طابع خاص يتميزون به. يقول دوكاستري بأن الرحالة في المغرب كانوا يتأثرون بأساليب الكتاب الشرقيين في رحلتهم، وكذلك تأثر أبوالبقاء بكتاب البرق الشامي للعماد الأصبهاني. ويختم دوكاستري ملاحظته قائلاً: «إنا نرى أن الوزير الغرناطي الشهير لم يتخل عن طابع العصر ولم يقو على عدم النيل من شاعر معاصر له» (انظر دوكاستري 1929: مقدمة النفحة المسكية).

هذا وينقل الأستاذ محمد عنان عن بروكلمان صاحب كتاب (تاريخ الأدب العربي) أن البلوي انتفع في كتاب (تاج المفرق في تحلية علماء المشرق) بما كتبه ابن جبير عن المشرق في القرن السادس الهجري (12م).

يلحق محقق الرحلة: «الواقع أن البلوي لم يُشير إلى هذه الرحلة ولم ينقل عنها شيئاً، وإذا كان تشابه الوصف بين الرحالين فذلك يرجع لتشابه الموصوف» (البلوي د.ت: (1) 47-48).

## 2- المدينة المنورة ضمن الرحلة:

من الواضح أن البلوي في أول خروجه من بلده كان متلهفاً لتحقيق الأمنيتين المعبر عنهما وهما تأدية الفريضة وزيارة قبر الرسول عليه الصلاة والسلام، وفي طريقة تجشم





وصف المدينة المنورة في النصف الأول من القرن الثامن الهجري (14م) من خلال رحلة البلوي (119-138)

الصعاب وتحدي الظروف والمثبطات، وقطع المفاوز، فتحقق له ما أثلج صدره، إذ إن أول اتصال بالأماكن والمشاهد المقدسة تم بنزوله بطيبة مدينة الرسول عليه الصلاة والسلام. إن لحظة اللقاء بالمدينة هي لحظة اكتشاف للذات قبل اكتشاف المكان ذاته، أو بعبارة أخرى: إن الإشراف على المدينة - والركب يقترب من مشارفها - يخلق أقصى مراحل التفاعل الوجداني بين المتلقي والمكان إلى الحد الذي تصبح فيه هذه المقاطع - والكثير منها كتب شعراً - شواهد رائعة من الأدب الوجداني، تتجاوز مدح المكان أو تقيظه - وعلى هذا الأساس يرفض المتلقي إخضاع المكان لتضاريس الجغرافية، مفضلاً العودة إلى تضاريس الروح التي كانت وراء رؤية البصيرة قبل رؤية البصر (مودن 2005: 176)، يقول في وصفه «فشاهدنا نوراً خالف العادة إشراقه، وعز على ضوء النسرين لحاقه عرفته البصائر قبل الإبصار وأنكرته النواظر لعلو جوهر نزره على الأنوار، ففسحت لطرف طرفي في ذلك الأفق مجالاً، وأرسلت معي سجلاً ونظمت ارتجالاً» (البلوي دت: (1) 280).

#### - الملحم العمراني:

إن الرحلة كلها يمكن اعتمادها مصدراً تاريخياً، لغناها بالإشارات للمعمار المدني ولاهتمام صاحبها بتسجيل الحدث، وذكر عناصره، فالحرص على ذكر الخبر والحدث باد في ضبط تنقلاته بتدوين تاريخ الانطلاق والانهاء، ولكن القصد بالتاريخ هنا هو ما حضره البلوي وكان شاهداً عليه، فهو يصف المسجد النبوي الشريف قبل أن يغير معالم الحريق الذي نشب به في عام (886هـ) (انظر السمهودي 1984: (1) 455-456)، ولا يفوته أن يثبت في رحلته نصوص الكتابات والتواريخ المرموقة على الجهات بالمسجد النبوي، فالبلوي يقدم لنا توصيفاً ودعماً بالوثائق المسموعة والمرئية والمروية عن المسجد النبوي، مبرزاً مختلف جوانبه في الماضي والحاضر، فضلاً على دلالاته المستقبلية. والمتتبع للشواهد النبوية التي يوردها البلوي في رحلته، يستطيع وضع يده على هذه السيرة المزدوجة بين سيرة الدعوة وسيرة المكان. هكذا يصبح التفاعل بين هذين المستويين هو الذي يكون وراء بناء المعنى التاريخي لهذا المكان المقدس.

#### أ - المسجد النبوي:

##### الروضة الشريفة:

تقع الروضة في آخر جهة القبلة ناحية الشرق، بنيت حولها خمسة جدران بخمسة أركان منها أربعة جدران محرفة عن القبلة بحيث يستحيل استقبالها في الصلاة، وذكر البلوي أن بناءها بهذه الطريقة من عمل عمر بن عبدالعزيز الخليفة الأموي عندما كان والياً على المدينة مخافة أن يتخذها الناس مصلى، وأن الصفحة الغربية منها صندوق من أبнос





نواف عبد العزيز الجحمة (119-138)

مختوم بالصندل ومطعم بالفضة موضوع قبالة رأس النبي صلى الله عليه وسلم طول خمسة أشبار وعرضه ثلاثة أشبار وارتفاعه أربعة أشبار (البلوي د.ت: (1)285).

وفي الجهة القبالية أمام وجه النبي صلى الله عليه وسلم مسمار من فضة، فيقف الناس أمامه للسلام عليه صلى الله عليه وسلم. وحدد البلوي رأس أبو بكر الصديق بأنه عند قدم النبي صلى الله عليه وسلم ورأس عمر بن الخطاب مما يلي كتفي أبي بكر رضي الله عنهما، وأمام هذه الجهة نحو العشرين قنديلاً من الفضة المعلقة اثنان منها من الذهب وتوقد كل ليلة مع غيرها من الشمع العظيم العجيب.

وأضاف البلوي (د.ت: (1) 286) أن مجموع مسافات الروضة من جميع جهاتها مائة واثنان وسبعون شبراً. وقد زينت الروضة بالرخام البديع النحت وينتهي فيها إلى نحو الثلث وإلى حيز الرخام تنتهي الأشبار من الديباج وهي لازوردية اللون مختمة بخواتم بيض مثمثة ومربعة.

والجدار المكرم قد علاه المسك والطيب المتراكم على طول الأزمنة ولبه شبابيك من الخشب متصلة بسقف المسجد حيث إن الروضة لا سقف لها ولكنها متصلة بسقف المسجد، وبين الروضة والشبابيك مدى واسع، وللشبابيك أبواب مكتوبة على كل باب منها ما نصه «بسم الله الرحمن الرحيم خدم بهذه الدار يزينة للحرم الشريف مولانا السلطان الملك الظاهر ركن الدنيا والدين أبي الفتح بيبرس الصالحي، قسيم أمير المؤمنين في سنة ثمان وستين وستمائة» (البلوي د.ت: (1) 286).

يلاحظ أن تاريخ النقش يزيد عن السنة التي حج فيها الملك الظاهر سنة 667هـ/ 1268م (ابن كثير 1981: (13) 256-257 وابن دقماق 1985: (2) 75)، لعل هذا يرجع إلى أن القيام بالنقش إنما تم في سنة 668هـ/ 1269م، خاصة وأن الملك الظاهر قد أرسل من مصر في رجب سنة 668هـ/ 1269م درابزينات للحجرة النبوية، وأمر أن تقام حول القبر صيانة وعمل أبواباً لا تفتح وتقفل فركب ذلك عليها.

وقد سجل البلوي نقشاً وجد في سقف الروضة الشريفة، بدأ بقصيدة شعرية فريدة كتبت بالخط المذهب، وانتهى بسبع وابل الألقاب على الملك الناصر محمد بن قلاوون. كما يشير النقش إلى عناية واهتمام ملوك المسلمين بالتلقب بلقب خادم الحرمين الشريفين ونص النقش «اللهم أدم العز والتمكين والنصر والفتح المبين لعبدك المسكين، الذي أوليته أمور المسلمين واخترته على كثير من العالمين السلطان الملك الناصر، ناصر الدين والدنيا، وأبو المعالي محمد قسم أمير المؤمنين سلطان الإسلام والمسلمين، قاتل الكفرة والمشركين، قاهر الفجرة والمتمردين، حامى حوزة الدين، سلطان الديار المصرية والعراقية والبلاد الشامية، ملك البحرين خادم الحرمين الشريفين ولد السلطان المرحوم الملك المنصور، سيف الدين والدنيا قلاوون الصالحي أدام الله أيامه ونشر في الخافقين





وصف المدينة المنورة في النصف الأول من القرن الثامن الهجري (14م) من خلال رحلة البلوي (119-138)

رايته وأعلامه وجعل السعد والإقبال حيثما توجه أمامه، وكان ابتداء العمل في شهر ربيع الأول، وانتهاهؤه في جمادى مستهل الأخير سنة إحدى وسبعمائة للهجرة النبوية» (البلوي دت: (1): 283-285).

### المنبر الكريم:

يقع المنبر المبارك على يمين الروضة بينهما اثنتان وأربعون خطوة ومن جهة القبلة عمود يقال إن به بقية الجذع الذي حن للنبي صلى الله عليه وسلم، وشاهد البلوي (دت: (1) 286-287) قطعة معه في وسط العمود ظاهرة، يقبلها الناس ويتبركون بلمسها ومسح خدودهم فيها. والمنبر الكريم مغطى بخشب الأبنوس ونفيس الصندل بأحكام تصنيف وأبداع تركيب (انظر العبدري 1968: 218).

أما طول المسجد النبوي «فمائة وتسعون خطوة، وعرضه مائة وست وعشرون خطوة، وعدد سواريه ثمانمائة، وتحفه من جهاته الأربع بلاطات مستديرة به ووسطه كله مفروش بالحصى والرمل، وفي صحنه قبة بيضاء كبيرة أمامها خمس عشرة نخلة، نصف جدار القبة الأسفل رخام مجزع متعدد الألوان والنصف الأعلى منه مغطى كله بالذهب، قد أنتج الصناعات فيه نتائج غريبة من الصنعة فيها تصاوير أشجار مختلفات الصنعة، ماثلات الأغصان فيه بثمرها، والمسجد المكرم كله على تلك الصنعة، لكن الصنعة في جدار القبلة أحفل» (البلوي دت: (1) 288).

### أبواب المسجد النبوي:

وللمسجد تسعة عشر باباً لم يبق منها مفتوحاً سوى أربعة أبواب كبار (انظر أبو شامة دت: (2) 35-37) في الغرب منها اثنان يعرف أحدهما بباب الرحمة والثاني بباب الخشية، وفي الشرق اثنان يعرف أحدهما باب جبريل والثاني باب الرجاء، ويقابل باب الرحمة مدرسة لم ير أحسن بناء منها ولا أبداع صنعة، ويقابل باب جبريل دار عثمان بن عفان رضي الله عنه وهي التي استشهد بها (انظر البلوي دت: (1) 287 وابن جبير دت: 148).

### ب - مسجد قباء:

وصفه البلوي (دت: (1) 288) بأنه مسجد حسن عدل الترتيب مستوي الطول والعرض له مذننة طويلة بيضاء تظهر من بعد، وفي وسطه روضة صغيرة هي مكان مبارك الناقة بالنبي صلى الله عليه وسلم، ويحرص الناس على الصلاة فيها. كما يوجد في صحنه مما يلي القبلة شبه محراب على مصطبة هو موضع ركوع النبي صلى الله عليه وسلم، وسجل البلوي نقشاً وجد بأعلى محراب المسجد يشير إلى تاريخ تجديده ونصه: «بسم الله الرحمن الرحيم لَمَسْجِدٍ أَسَسَ عَلَى النَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ، فِيهِ رَجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَهَّرِينَ (سورة التوبة: 9/108) هذا مقام النبي صلى الله عليه وسلم





نواف عبد العزيز الجحمة (119-138)

جدد هذا المسجد في تاريخ سنة إحدى وسبعين وستمائة» (البلوي د.ت: (1) 288). ولم يحدد النقش شخصية متولي التجديد، أفاد السهمودي (1984: (3) 807-810) أن المسجد قد جدد مرتين إحداهما سنة 555هـ/1160م والأخرى سنة 671هـ/1273م، وهي المرة التي أشار إليها البلوي، إلى جانب ذكره لوجود المحاريب في قبيلته، أما مكان مبارك الناقة بالرسول صلى الله عليه وسلم فلم يفصل السهمودي فيه برأي قاطع (انظر نواب 1996: 384).

وفي معرض حديثه ذكر البلوي (د.ت: (1) 288) أنه في «قبلة المسجد» دار لبني النجار، وهي دار أبي أيوب الأنصاري، ويلي دار بني النجار دار عائشة وبازائها دار عمر ودار فاطمة ودار أبي بكر رضي الله عنهم، وأمام باب المسجد بئر ذات ماء عذب يحمل مأوها إلى المدينة. يلاحظ أن ما جاء به من وصف للدور والبئر نقل حرفياً عن ابن جبير (د.ت: 150)، لذا لم يظل الوضع كما كان سابقاً، وعليه فهو يتطابق مع ابن جبير في إغفال وصف بئر بضاعة، والتي جاء ذكرها وما ورد فيها من أثر للنبي صلى الله عليه وسلم لدى بعض مؤرخي المدينة (السهمودي 1984: (3) 956-959).

أما المساجد بالمدينة المنورة: مسجد الفتح، ومسجد علي رضي الله عنه، ومسجد سلمان الفارسي رضي الله عنه - فقد اكتفى بذكرها دون وصفها (البلوي د.ت: (1) 280)، ربما يرجع السبب في ذلك أنها كانت خراباً في هذه المدة التاريخية، إلا أن آثار بنائها ما زالت باقية، إضافة إلى ما تناقلته الناس بالتواتر حول صحة أخبار نسبتها إلى أصحابها.

### ج - القبور (المشاهد المكرمة):

فأول ما يذكر من ذلك - قبر حمزة رضي الله عنه، وهو بقلي جبل أحد، وقد بُني عليه مسجد، وتنتشر قبور الشهداء بجواره (البلوي د.ت: (1) 288).

وبقيع الغرقد شرقي المدينة، تخرج إليه من باب يعرف بباب البقيع، أحد أبواب المدينة الأربعة، وبعدها يستعرض لنا المشاهد المكرمة في المقبرة على حسب ترتيبها عند الخروج من الباب المذكور، فقد أشار البلوي إلى وجود مشهد صفيّة عمة النبي صلى الله عليه وسلم أم الزبير بن العوام رضي الله عنهما مع يسار الخارج للبقيع أمام قبرها قبر مالك بن أنس رضي الله عنه وعليه قبة صغيرة مختصرة البناء، وأمام قبر السلالة الطاهرة النبوية إبراهيم ابن النبي صلى الله عليه وسلم وعليه قبة بيضاء ويقربه قبر عقيل بن أبي طالب وعبدالله بن أبي جعفر الطيار رضي الله عنهم. وبجوارهم روضة فيها قبور أزواج النبي صلى الله عليه وسلم وبجانب الروضة روضة صغيرة فيها ثلاث من بنات النبي صلى الله عليه وسلم، وتليها روضة العباس بن عبدالمطلب والحسن بن علي رضي الله عنهما وعليها قبة عالية وموقع هذه الروضة على يمين الخارج من باب البقيع





وصف المدينة المنورة في النصف الأول من القرن الثامن الهجري (14م) من خلال رحلة البلوي (119-138)

وموضع قبريهما متسع، وقد دفن الحسن قرب العباس رضي الله عنهما، أما صفة القبرين فإنهما مرتفعان ويغطي كلا منهما ألواح مرصعة بصفائح الصفر تمسكها بعض المسامير على أبداع صفة وأجمل منظر وينطبق الأمر كذلك على قبر إبراهيم ابن النبي صلى الله عليه وسلم. وفي آخر البقيع قبر عثمان بن عفان الشهيد ذي النورين رضي الله عنه، وعلى قبره قبة كبيرة، وعلى مقربة منه مشهد فاطمة بنت أسد أم علي بن أبي طالب رضي الله عنهما، وعلى القبر مكتوب «ما ضم قبر أم أحد كفاطمة بنت أسد» رضي الله عنهما وعن بنيتها (البلوي د.ت: (1) 289).

واتفق البلوي مع الرحالين (انظر ابن جبير د.ت: 149 والعبدري 1968: 203 وابن بطوطة 1997: (1) 360-361 وابن رشيد 1988: (5) 19) حول مواضع قبور الصحابة رضي الله عنهم، إلا أن ابن جبير زاد عليه بتعيين قبر عبد الرحمن بن عمر بن الخطاب، والبيت الذي ينسب لفاطمة بنت الرسول صلى الله عليه وسلم - ويعرف ببيت الحزن.

هذا ونجد أن البلوي لفت انتباهه كثرة القباب والمباني، وأشهر القباب وأعلاها وأكبرها قبة عثمان بن عفان رضي الله عنه، ويلاحظ هنا اختلاف عما أورده ابن جبير (د.ت: 149) بذكر أن القبة صغيرة مختصرة. يبدو أن القبة قد طرأ عليها التجديد حتى بدت بهذا المنظر الذي وصفه البلوي.

#### د - الأسوار والتحصينات والعيون:

لم يكن البلوي ليتجاهل موقع المدينة وبالأخص إذا كان هذا الموقع يكتسي أهمية دينية وله مكانة جغرافية متميزة، ويقف إزاءها متاملاً ومعجباً بها، وإذا كان البلوي يركز على تحديد موقع المدينة فلأنه ركن من أركان بنائها وإنشائها، وهو ما ينبغي مراعاته كما يقول ابن خلدون (1979: 851): «لذفع المضار بالحماية من طوارقها وجلب المنافع وتسهيل المرافق لها» و «أن تكون في وضع متمنع من الأمكنة». وهكذا فإن أول ما يثير اهتمام البلوي عندما يقف على مشارف المدينة المنورة هو أسوارها وتحصيناتها. أشار البلوي (د.ت: (1) 290) إلى وجود سورين متقابلين اشتملا على أربعة أبواب مصنوعة من الحديد يسمى أحدها باب الحديد ويليه باب الشريعة ثم باب القبلة ثم باب البقيع المفضي إلى البقيع شرقي المدينة. ولم يفتته بأن يسجل موقع الخندق الشهير الذكر الذي صنعه النبي صلى الله عليه وسلم عند تحزب الأحزاب الموجودة أثاره بالمدينة بالجهة الغربية منها.

أما العين المنسوبة للنبي صلى الله عليه وسلم كما يشير البلوي (د.ت: (1) 290) من المواقع الهامة لبناء المدينة، ونظراً لأهميتها وما تضي على المدينة من أجواء طبيعية جذابة، فهو بذلك يصفها بـ «العين المباركة تعم أهل الأرض فضلاً عن أهل المدينة».

المستفاد مما سبق أن المدينة كان عمراتها متقناً حسناً نستشف حسناتها وترتيب بنائها من





نواف عبد العزيز الجحمة (119-138)

وصف البلوي - «والمدينة المكرمة متسعة الأرجاء مشرقة الأنحاء طيبة الهواء كثيرة النخيل والماء، ممتدة التخطيط والاستواء حسنة الترتيب والبناء» (البلوي دبت: (1) 290).  
أغلب الظن أن المدينة المنورة نعمت باستقرار سياسي وازدهار اقتصادي في عهد المماليك في مطلع القرن الثامن الهجري/ 14م، فلقد تنافس السلاطين والأمراء في الإنشاء والتعمير، وبالغوا في ذلك أحياناً ليبقى لهم الذكر عبر القرون. ويمكننا أن نرجع هذه الظاهرة إلى أن المال كان وفيراً في عهد دولة المماليك (الناصر محمد بن قلاوون نموذجاً).

بالإضافة إلى أنهم أرادوا التقرب إلى الله عز وجل بغية الأجر والثوبة، والظهور في مظهر حماة الدين والمدافعين عنه، فضلاً عن أنهم أرادوا تثبيت سلطانهم في الحجاز بالتردد عليه والنظر في أحواله والتحجب إلى أهله بالصدقات، والاهتمام بهم حتى لا يقدموا أحداً عليهم في الدعاء والخطبة، من أجل ذلك كانوا يولون اهتماماً كبيراً بالحرمين الشريفين.

#### الملح العلمي:

من بين القضايا التي كانت تثير انتباه البلوي ويقف عندها مطولاً ومفصلاً هو كل ما يتعلق بالحركة العلمية والتعليمية، فنراه يركز اهتمامه على العلماء والقضاة والمدارس، وهذا الموضوع يشكل بدوره في الرحلة مادة مهمة تطلنا على مستوى الحركة العلمية في المدينة المنورة، وخصوصيتها، وما سجله في هذا الإطار يعتبر من الوثائق التاريخية التي من الصعب أن يستغني عنها كل من يريد أن يؤرخ للحياة التعليمية والثقافية خلال القرن الثامن الهجري/ 14م.

وكان البلوي، يضيف إلى النسك والزيارة العناية بالأخذ دارية أو رواية عن مشايخ الحرم النبوي الشريف، ولهذا يفتح عدد من النصوص الرحلية بلوائح لأعلام هذه الجهة: المقيمين أو المجاورين، على أن المؤلف يسجل لشيوخه تراجم قد تشتمل على معلومات تخلو منها المعاجم الموضوعية (المنوني 1979: (2) 300).

ويختار البلوي شيوخه الذين أخذ عنهم العلم أو الرواية بعناية كبيرة، فعلى الرغم من كثرة من لقيه في رحلته من رجال العلم والرواية، فإنه لا يختار منهم للجلوس إليه أو الأخذ عنه أو ملازمة حلقاته، إلا من كان له حضور قوي في علمه وروايته، أو انفراد متميز فيها أو منهج درسه. ويمكن أن نتمثل هذه العلامات الفهرسية الواردة في رحلة البلوي في النقاط الآتية:





وصف المدينة المنورة في النصف الأول من القرن الثامن الهجري (14م) من خلال رحلة البلوي (119-138)

## 1 - كبار العلماء:

أبو محمد بن أسعد اليافعي (ت 788هـ/1366م):

عفيف الدين أبو محمد عبدالله بن أسعد بن علي بن سليمان بن فلاح اليافعي، اليمني الشافعي - نشأ محباً للعلم فبعثه أبوه إلى عدن فأخذ عن علمائها وحفظ القرآن الكريم وحج صغيراً، وعاد إلى بلده وأثر الخلوة وساح في الأرض متنقلاً بين الشام والقدس والخليل ومصر والصعيد مواظباً على الحج، وجاور بالمدينة ثم استوطن مكة وتزوج بها. شاع ذكره الجميل وتصدر للتدريس والتأليف، إلا أن معظم مؤلفاته امتازت بقصد مواضيعها مع عظم فائدتها، وعرف بتواضعه وترفعه عن أرباب الدنيا، كثير الصدقة مع قلة ذات اليد. ولد سنة 698هـ/1298م، وتوفي في جمادى الآخرة سنة 768هـ/1366م بمكة المكرمة (انظر الحسيني د.ت: 152 والفاسي 1985: (5) 104-110 وابن العماد د.ت: (6) 210-212).

لقيه البلوي بالحرم النبوي الشريف وأسبغ عليه الصفات الجليلة فقال في وصفه:

«أجل العلماء العابدين وأفضل الأولياء الزاهدين وأحفل الأدباء البلغاء الماجدين، فله من الحجج ما ينيف على الخمسين» (البلوي د.ت: (1) 291-292).

جمال الدين أبو عبدالله محمد بن أحمد العبادي (ت 741هـ/1243م):

محمد بن أحمد بن خلف بن عيسى بن عباس بن يوسف بن عثمان جمال الدين أبو عبدالله الأنصاري الخزرجي العبادي السعدي الشافعي. رئيس المؤذنين بالحرم النبوي الشريف ونائب القاضي والخطيب والإمام في المدينة، كان عالماً أخذ عن جمع غفير من العلماء. منهم أبو اليمن ابن عساكر، وجلس للتدريس في الحرميين الشريفين، ألف تاريخاً للمدينة المنورة سماه «التعريف بما أنست الهجرة من معالم دار الهجرة».

ولد سنة 671هـ/1272م أو 673هـ/1273م، وتوفي في السابع من ربيع الآخر سنة 741هـ/1243م (انظر الحسيني د.ت: 110 والسخاوي د.ت: (3) 466).

أشار البلوي (د.ت: (1) 293-294) إلى عظم قدره مادحاً إياه بالشيخ العالم الرئيس الصالح القائم بتدريس الحديث، ولعل نعته إياه بالرئيس إشارة إلى شغله منصب رئيس المؤذنين آنذاك.

## 2 - أهم المؤلفات والإجازات العلمية:

واستكمالاً لهذه الاستفادة العلمية التي حصلها البلوي من شيوخه، فإنه يستوفي ذلك بإيراد نصوص الإجازات التي ظفر بها من هؤلاء الشيوخ، يبيحون له الأخذ والتحمل عنهم، ويعطون له الشرعية في أن يربط اتصاله بهم ليجري إليهم رواياته وأسانيده، والملاحظ أنه قد اتسعت المساحة في تاج المفرق لتستوعب هذا الصنف من النصوص الذي تكتمل





نواف عبد العزيز الجحمة (119-138)

بذكره مراحل العملية التعليمية عند شيوخ العلماء.

ومن نصوص الإجازات التي أوردتها في الرحلة - نص إجازة الشيخ جمال الدين العبادي وهي في علم الحديث «الأربعين حديثاً» التي خرجها الإمام الحافظ علم الدين البرزالي دمشقي من كتاب الزيارة لأبي اليمن بن عساكر (البلوي دت: (1) 294). ومنها إجازة الشيخ عفيف الدين أبو محمد اليافعي، وقد أجازته بعد أن سمع من لفظه كثيراً من تأليفه الذي سماه كتاب «الإرشاد والتطريز في فضل ذكر الله وتلاوة كتابه العزيز، وفضل الأولياء والناسكين والفقراء والمساكين» (البلوي دت: (1) 292-293).

ومن جهة أخرى كان للبلوي شغف بالبحث عن الذخائر ونوادر المؤلفات، ونماذج هذه الظاهرة كثيرة. فالبلوي يتحدث (دت: (1) 287) عن خزانيتين كبيرتين بالمسجد النبوي: للكتب والمصاحف الموقوفة. وأغلب الظن أن الكثير من هذه الكتب قد تلف وضاع خاصة أن المسجد النبوي تعرض لحريقين تسببا في إتلاف العديد من الأشياء القيمة (انظر السمهودي 1984: (2) 598-600 والسخاوي دت: (3) 231).

### 3 - نصوص أدبية نادرة:

برز الجانب الأدبي في الرحلة، من خلال النظم الشعري الذي تفجر، في المتن الرحلي، بواسطة قرائح فطرية، وإحساسات عفوية فجرها المكان الطاهر بكل مكوناته، فلم يكن نظم هؤلاء الرحالين صادرا عن حرفية الشاعر المحترف، بل كان في معظمه شعرا أتى عفواً مما يشفع لناظمه جانبه النظمي المسيطر على جانبه الشعري، دوناً يمنع ذلك من وجود العديد من الإشراقات الشعرية الرائعة (مودن 2005: 190).

هذا وقد تضمنت الرحلة نصوصاً أدبية نادرة في غاية الأهمية، منها:

قصيدة من ثلاثين بيتاً نظمها الرحالة الشاعر البلوي تحمل مشاعر الشوق واللهفة لزيارة المصطفى صلى الله عليه وسلم، بل إن لحظات الخشوع تنتاب الرحالة وهو على مشارف هذا المكان الطاهر، هذا مطلعها (البلوي دت: (1) 280-282):

الله أكبر حبذا أكباره	لاح الهدى وبدت لنا أنواره
لاحت معالم يثرب وربوعها	مئوى الرسول وداره وقراره
هذا النخيل وطيبه ومحمد	خير الورى طرا وها أنا جاره

قصيدة في آداب الزيارة إذا أشرف الزائر على المدينة المنورة أو على البيت، من نظم الأديب الجوهري، هذا مطلعها (البلوي دت: (1) 282):





وصف المدينة المنورة في النصف الأول من القرن الثامن الهجري (14م) من خلال رحلة البلوي (119-138)

رفع الحجاب لنا فلاح لناظري  
قمر تقطع دونه الأوهام  
وإذا المطى بنا بلغن محمدا  
فظهرهن على الرجال حرام

قصيدة في مدح الرسول صلى الله عليه وسلم مكتوبة بالخط المذهب في سقف المسجد النبوي الشريف، شهد البلوي لناظمها بالقريحة الراجحة والعقيدة الصالحة، هذا مطلعها (البلوي د.ت: (1) 283-284):

سلام كنشر الورد من مسقط النداء  
عليك رسول الله يا منزل الهدى  
ويا مهبط الأملاك والوحي لم تنزل  
أنيساً بزوراء الرسول ممجدا

قصيدة من نظم شيخ الدين الأصبهاني في استدعاء الإجازة من شيخه أبي محمد بن أسعد اليافعي، هذا مطلعها (البلوي د.ت: (1) 293):

وقد أوطأت نعلي كل أرض  
وقد أتعبت نفسي باغتراب  
وقد طوفت في الآفاق حتى  
رضيت من الغنيمة بالإياب

قصيدة في مغادرة رحاب المدينة المنورة، من نظم الرحالة الشاعر البلوي، تميزت بمواقف مؤثرة توزعت صورها في تدافع الأحاسيس الصادقة المشوبة بالحنين إلى هذه الأمكنة الطاهرة إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها - هذا مطلعها (البلوي د.ت: (1) 295):

لم يبق قلب في الحمى  
الله أي هوى برامة  
إلا وقد أعطى زمامه  
حيث القلوب المستهامة





### 3- استنتاجات و خلاصات:

نخلص في ختام هذه الدراسة إلى ما يأتي:

- تعتبر الرحلة إضافة مهمة للتراث الرحلي المغربي في وجهته الحجازية، فهذا النص يبرز بعض سمات المنهج المتبع في الرحلة وهو المستند إلى التحري، والإحاطة والشمول لكونه لا يحكي الأخبار والحكايات إلا بعد الوقوف عليها والتأكد من عناصرها الزمنية والمكانية والبشرية، ذلك أن مرجعيته في مادة معلوماته تنبني على المشاهدة والملاحظة بمحاورة الآثار وقراءة النقوش واللوحات المخددة للتغيرات الطارئة. والاستئناس من لهم علم بالحدث والمكان، وبهذا يختلف عن غيره من الذين يكتفون أحياناً بالنقل عن غيرهم.
- وللرحلة أهمية خاصة فيما احتضنته من (نقوش بصرية) كمصدر للتأكيد على جديتها وصدق أخبارها، وهو ما يتعلق بالنقوش التي كان يقف الرحالة عليها مكتوبة على لوحة خشبية أو قطع من حجر في المشاهد الكريمة، وقد أمست إلينا في وقتنا الحاضر بمنزلة وثيقة تاريخية، لا سيما بعض تلك النقوش التي ما يزال معروفاً للعيان إلى يومنا هذا.
- والرحلة مصدر مهم لمعرفة الحياة العلمية في هذه المدة المدروسة، ففيها ذكر لمجالس الدرس والتحصيل، والكتب المعتمدة والإجازات العلمية. إضافة إلى كونها سجلاً ضم قوائم لأسماء أعلام الفقهاء المجاورين. الذين تخصصوا في أفانين العلوم مثل «علم الحديث والفقه والأدب» مما يجعل لهذه التراجم طابعاً معيناً وخصوصية منفردة.
- تعتبر الرحلة مصدراً لكثير من النصوص الأدبية شعراً ونثراً، فلقد انفردت برواية كثير من النصوص، فالبلوي أدرج في رحلته كثيراً من قصائدهم الشعرية مما له علاقة بظروف الرحلة، مما جعل الرحلة ذات أهمية خاصة من الوجهة الأدبية.
- إن نص الرحلة جاء مقتضباً، حيث كان صاحبه شحياً في تصوير الأحداث والوقائع، والحديث عن المجالات التي تخص الجانب الاجتماعي والسياسي، وإعطائها حقها من العناية والاهتمام، مما جعل النص صغيراً بالمقارنة مع نصوص الرحلات الأخرى (رحلة ابن بطوطة نموذجاً).
- وأخيراً فإن الرحلة تكشف عن جانب التطور الحضاري الذي عاشته المدينة المنورة في العصر المملوكي الذي يمثلته الرحالة خالد البلوي، فالمدينة قد نعمت ببعض المشاريع العمرانية التي توضح حرص واهتمام الممالك من ملوك وأمراء بالبناء والتعمير بها طلباً وسعياً وراء الأجر والثواب من الله عز وجل.





وصف المدينة المنورة في النصف الأول من القرن الثامن الهجري (14م) من خلال رحلة البلوي (119-138)

## قائمة المصادر والمراجع :

- البرزنجي، جعفر بن السيد اسماعيل. (1914). نزهة الناظرين في مسجد سيد الأولين والآخرين، القاهرة، دار الكتب العلمية.
- ابن بطوطة، شمس الدين أبي عبد الله اللواتي. (1997). تحفة الناظر في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، تحقيق عبد الهادي التازي، الرباط، مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية.
- البلوي، خالد بن عيسى. (د.ت). تاج المفرق في تحلية علماء المشرق، تحقيق الحسن السائح، طبع تحت إشراف اللجنة المشتركة لنشر التراث الإسلامي بين المملكة المغربية ودولة الإمارات العربية المتحدة.
- التجيبى، القاسم بن يوسف السبتي. (1975). مستفاد الرحلة والاعتراب، تحقيق عبد الحفيظ منصور، ليبيا- تونس، الدار العربية.
- التمبكتي، أحمد بابا. (1351). نيل الإبتهاج بتطريز الديباج، ط1 الفحامين مصر، طبعة عباس بن عبد السلام بن شعرون.
- التمجروتي، علي بن محمد الجزولي الدرعي. (1929). النفحة المسكية في السفارة التركية، ترجمة دوكاستري B, Decastre، باريس.
- ابن جبير، أبو الحسن محمد بن أحمد الكنانى البلنسى. (د.ت). تذكرة بالأخبار عن اتفاق الأسفار (رحلة ابن جبير)، بيروت، دار الشرق العربي.
- الحسيني، شمس الدين أبو المحاسن محمد بن علي. (د.ت). ذيل تذكرة الحفاظ للإمام الذهبي، بيروت، دار إحياء التراث العربي.
- ابن الخطيب، لسان الدين. (1399/1969). الإحاطة في أخبار غرناطة، تحقيق محمد بن عبدالله عنان، الشركة المصرية، دار المعارف.
- ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد الحضرمي. (1979). تاريخ ابن خلدون المسمى العبر وديوان المبتدأ والخير في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، بيروت، مؤسسة جمال للطباعة والنشر.
- ابن دقمق، ابراهيم بن محمد. (1985). الجوهر الثمين في سير الملوك والسلاطين، تحقيق محمد كمال الدين، ط1 عالم الكتب، ج2، بيروت.
- ابن رشيد، أبو عبد الله محمد بن عمر بن رشيد الفهري. (1988). ملء العيبة بما جمع بطول الغيبة في الوجهة الوجيعة إلى الحرمين مكة وطيبة، تحقيق محمد الحبيب خوجة، بيروت، دار الغرب الإسلامي، ج5 الزركشي، أبي عبد الله محمد بن إبراهيم بن اللؤلؤ. (1966). تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية، تحقيق محمد ناضور، تونس، المكتبة العتيقة.
- الزركلي، خير الدين. (1986). الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، بيروت، دار العلم للملايين.
- السخاوي، شمس الدين محمد بن عبد الرحمن. (د.ت). التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة، عني بطبعه اسعد طرا بزوني الحسيني، ج3
- السمهودي، نور الدين علي بن أحمد. (1984). وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى، تحقيق محمد محي الدين، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ج1
- أبوشامة، شهاب الدين أبو محمد عبد الرحمن المقدسي. (د.ت). الروضتين في أخبار الدولتين، بيروت، دار الجيل.
- العبدري، ابو عبد الله محمد بن العبدري الحيجي. (1968). الرحلة المغربية، تحقيق محمد الفاسي، الرباط، وزارة الدولة المكلفة بالشؤون الثقافية.





نواف عبد العزيز الجحمة (119-138)

- ابن العماد، أبو الفلاح عبد الحي الحنبلي. (د.ت). شذرات الذهب في أخبار من ذهب، دار الفكر، ج6  
الفاصي، تقي الدين محمد بن أحمد الحسيني. (1985/1986). العقد الثمين في أخبار البلد الأمين، تحقيق محمد  
حامد الفقي وفؤاد السيد، ج5  
ابن القاضي، أبو العباس أحمد بن محمد بن محمد الكناسي. (مخطوط خزانة الرباط رقم 1242). جذوة  
الافتباس في ذكر من حل من الأعلام مدينة فاس.  
ابن القاضي، أبو العباس أحمد بن محمد بن محمد الكناسي. (1971 / 1391). درة الحجال،، تونس، دار  
التراث، المكتبة العينية.  
ابن كثير، الحافظ عماد الدين أبو الفداء. (1981). البداية والنهاية، مكتبة المعارف، ط4، ج13.  
المقري، أحمد بن محمد المقري التلمساني. (1968 / 1388). نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب. تحقيق  
إحسان عباس، بيروت، دار صادر.  
المقريزي، تقي الدين أبو العباس أحمد بن علي. (1996). السلوك لمعرفة دول الملوك، القاهرة، دار الكتب.  
الناصري، أبو العباس أحمد بن خالد. (1956). الاستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى، تحقيق جعفر  
الناصري، الدار البيضاء، دار الكتاب.  
إبراهيم، رفعت باشا. (د.ت). مرآة الحرمين أو الرحلات الحجازية والحج ومشاعره الدينية، بيروت، دار  
المعرفة.  
الجاسر، حمد. (1972). رسائل في تاريخ المدينة، الرياض، دار اليمامة.  
الجحمة، نواف. (2003). صورة ديوان الجمرك المصري من خلال الرحلات المغربية والأندلسية من القرن  
السادس إلى القرن الثامن الهجري (12- 14م)، بحث مقدم إلى مؤتمر الرحلة بين الشرق والغرب:  
اتصال أم انفصال، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، جامعة محمد الخامس 2003.  
حافظ، علي. (د.ت). فصول من تاريخ المدينة المنورة، جدة، شركة المدينة.  
الحجي، حياة ناصر. (1984). السلطان الناصر محمد بن قلاوون ونظام الوقف في عهده، الكويت، مكتبة  
الفلاح.  
زغلول، سعد. (1965). تاريخ المغرب العربي، القاهرة، دار المعارف.  
المنوني، محمد. (1979). الجزيرة العربية في الجغرافيات والرحلات المغربية وما إليها، دراسات تاريخ  
الجزيرة العربية، الكتاب الأول، جامعة الرياض، ج2  
مودن، عبدالرحيم. (2005). المدينة المنورة في النص الرحلي: مستوياته وأبعاده، بحث مقدم إلى مؤتمر  
الشرق والغرب في مدونات الرحالة العرب والمسلمين - اكتشاف الذات والآخر، دورة الجزائر 2005 ،  
أبوظبي، دار السويدي للنشر والتوزيع، ط1.  
ابن النجار، محمد بن محمود. (1981). أخبار مدينة الرسول المعروف بالدرة الثمينة، تحقيق صالح محمد  
جمال، ط3، مكتبة الثقافة.  
نواب، عواطف. (1996). الرحلات المغربية والأندلسية مصدر من مصادر تأريخ الحجاز في القرنين السابع  
والثامن الهجريين، الرياض، مكتبة فهد الوطنية.





وصف المدينة المنورة في النصف الأول من القرن الثامن الهجري (14م) من خلال رحلة البلوي (119-138)

## **Description of Medina at the Beginning of the Eighth Century/ Fourteenth Century AD) in Balawi's trip**

**Nawaf Abdul Aziz Aljahmah**

*College of Basic Education - Public Authority for Applied Education and  
Training  
Kuwait - Kuwait*

### **Abstract:**

Medina has attracted travelers from the Maghreb and Andalusia who have described it in positive terms ranging from love and admiration to reverence and sanctification. This might explain the curious fact that all these travelers' accounts seem to be emulating each other. One of these travelogues is the trip made by Abu Al-Baqa' Abu al- Balawi to perform the Haj, in AD 1336/H3737, which exists in a two-volume book. The essay will cover the particulars of the trip, the author's description of Medina, and finally my own conclusions about the trip.

Key words: Travelogues, Maghreb, Abu al-Balawi, Medina

